العددِ 20 شباط 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20 Feb.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

آثار الذاكرة السياقية في أداء الطالب النحوي عند تغيير الرتبة

م. د. ميسون عبد الجبار داود البصري
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية / قسم اللغة العربية
الإيميل: Maysoonabduljabbar_a@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:
الذاكرة السياقية مصطلح يُعنى بدراسة ميل الاشخاص إلى استرجاع المعلومات في سياق معين، هو نفس السياق الذي تكونت فيه الذكرى، ويحاول البحث علاج فشل الطالب في معرفة الموقع الإعرابي للكلمات حين يتغير السياق بتقديم وتأخير وغيرهما، لأنّها حالة مرتبطة بالذاكرة السياقية ويقدم البحث مجموعة من الحلول بعزل الكلمات عن سياقها المعهود وبربط النحو بالمعنى.
الكلمات المفتاحية: الذاكرة السياقية، التقديم والتأخير، الرتبة النحوية.

The Impact of Contextual Memory on Students' Grammatical Performance under Changes in Word Order

M.D. Maysoon Abduljabbar Dawood
Al-Mustansiriyah University - College of Education - Department of Arabic Language
Email: Maysoonabduljabbar_a@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:
Contextual memory is a term concerned with studying individuals' tendency to retrieve information within the same context in which the memory was originally formed. This study seeks to address students' difficulty in identifying the grammatical position of words when the context changes due to the reordering of sentence elements through fronting and postponement. This difficulty is viewed as a phenomenon related to contextual memory. The research proposes a set of solutions, including isolating words from their familiar contexts and linking grammatical analysis to meaning.
Keywords: Contextual Memory; Fronting and Postponement; Grammatical Order.

المقدمة:
يُعاني الكثير من المعلمين والمدرسين من فشل الطالب في معرفة الموقع الإعرابي للكلمات إن حدث تقديم وتأخير أو ذكرٌ وحذفٌ في السياق النحوي، فاختلال ترتيب الكلمات الجائز يعرض ذهن الطالب إلى الارباك، وعدم معرفة الرتبة النحوية؛ وذلك يقودنا إلى ظاهرة في علم النفس تُعرف بالذاكرة السياقية، أو الذاكرة المرتبطة بالسياق المكاني، وهذا البحث يحاول أن يجد الحل لهذه المشكلة.

المطلب الأول
مصطلح الذاكرة السياقية وما يتعلق به من مصطلحات نحوية

الذاكرة السياقية:

هي ميل الذاكرة إلى استرجاع الأشخاص أو المعلومات بسهولة عندما يكون السياق هو نفسه الذي تكونت فيه الذكرى وصعوبة استرجاعها عند تغيير هذا السياق (**Gruneberg & Morris, 1994, p. 168**).

فما هو السياق النحوي الثابت في ذاكرة الطالب الذي يمنعه من معرفة المواقع الإعرابية عند حدوث تغير في النسق؟

حتى نجيب على هذا التساؤل ينبغي أوّلًا أن نعرف معنى السياق النحوي.

السياق النحوي: هو الإطار الذي تأتي فيه الكلمة داخل الجملة، وما يحيط بها من كلمات وعلاقات إعرابية تؤثر في معناها ووظيفتها النحوية (**عمر، 2006، صفحة 181**) (**بشر، 1969، صفحة 188**).

وموضوع السياق النحوي يحيلنا إلى موضوع الرتبة النحوية.

والرتبة في النحو مصطلح نحوي يُراد به موضع الكلمة في التركيب، وتقدمه أو تأخره عن غيره على نحو معين.

وهذا التعريف وإن لم يرد في كتب الأقدمين، ولكنه فُهم من مجموع كتبهم، فلا يكاد يخلو باب من أبواب النحو إلّا وذُكرت فيه الرتبة حقيقةً أو تلميحًا (**ابن الوراق، 1999، صفحة 188**) (**بن جني، دون سنة، صفحة 348**) (**الانصاري، 2003، صفحة 176**) (**السهيلي، 1992، صفحة 312**).

ومما ذُكر تلميحًا مصطلح (الترتيب) عند عبد القاهر الجرجاني، ويميل تمام حسان إلى الاعتقاد بأنه لم يرد به إلا الرتبة (**عمر، 2006، صفحة 207**).

وأقسام الرتب في العربية اثنتان:

الأولى الرتبة المحفوظة، والثانية الرتبة غير المحفوظة.

والرتبة المحفوظة إن اختلت اختلَّ التركيب باختلالها فليس فيها تقديم ولا تأخير ومنها:

1- تقدم الموصوف على الصفة.
2- وتقدم المعطوف عليه بالنسق على المعطوف.
3- وتقدم المؤكد على التوكيد.
4- وتقدم المبدل على البدل.
5- وتقدم حرف الجر على المجرور.
6- وتقدم المضاف على المضاف إليه.

وغيرها (**عمر، 2006، صفحة 207**).

أما الرتبة غير المحفوظة فهي ملعب البلاغيين وساحتهم فبها ينماز البليغ الفصيح من العادي، فما يُقدم، لا يُقدم الا للعناية والاهتمام بشأنه (**السكاكي، 1987، الصفحات 236-237**).

ولكن التقديم والتأخير ليس على إطلاقه، بل يُبنى على قواعد وأسس معينة.

ومن الرتبة غير المحفوظة (الجائزة):

1- تقدم الفاعل على الفعل.
2- وتقدم المفعول على الفاعل.

وغيرها.

وهذا النوعُ هو الذي يُصيب الطالب بالإرباك وعدم معرفة الإعراب الصحيح، ومردُّ ذلك إلى اختلال الموقع الذي يعرفه الطالب، وينتج عن ذلك اختلال المعرفة، وذلك الذي عرفناه بالذاكرة السياقية.

المطلب الثاني
وظيفة الذاكرة السياقية سلباً وإيجاباً

الذاكرة السياقية سلاح ذو حدين، فيمكن أن تكون نافعة في الاسترجاع إن كان السياق الذي تمت فيه الذكرى موجودًا.

وحتى نفهم الموضوع نسأل سؤالًا هو:

– متى بدأ العلماء بنظم العلوم في قصائد، ولماذا؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال نُعرِّف أولًا المنظومات العلمية أو الشعر التعليمي:

هو نوع من أنواع الشعر يهدف إلى تعليم الناس شؤون حياتهم وآدابهم وعلومهم المختلفة عن طريق النظم، وتتصف بسهولة حفظها، ويسر استرجاعها، وإلمامها بالمادة العلمية.

ولا يعده الأدباء والشعراء شعرًا، بل يرون أنه كلام موزون مقفى، لأنّ الشعر دقة التعبير ومتانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس، وأمّا النظم فهو خلو من التأثير في النفس لأنّه نظم لحفظ المعرفة (**فروخ، 1983، صفحة 10**).

وهذا الشعر الذي وصفه الكثير من الأدباء بأنه خلو من المشاعر بدأ نظمه في العصر العباسي مع اتساع حركة الترجمة وازدهار العلوم وحاجة المتعلمين إلى تيسير العلم وضبطه بالحفظ، وقد أسهم هذا النظم في ازدهار العلوم واستذكارها بسهولة (**الحازمي، 2004، صفحة 481**)، فـ "الحفظ والتعهد تمام الدُّرك، لأنّ الانسان موكّل به النسيان والغفلة، فلا بُدَّ له إذا اجتبى صواب قول أو فعل، من أن يحفظه عليه ذهنه لأوان حاجته" (**بن المقفع، دون سنة، صفحة 15**).

ولئن اختلف الأدباء والعلماء في ماهية هذه المنظومات، فإنهم قد اتفقوا على أنها من أحسن ما يعين على حفظ أصول العلم، ولذلك نظمت الكثير من المنظومات في شتى صنوف المعرفة، نحو منظومات القراءات، والنحو والصرف والتجويد والحديث والآداب وغيرها.

فلماذا سهلت هذه المنظومات الحفظ؟

الإجابة عن ذلك تقودنا إلى أصل موضوعنا وهو الذاكرة السياقية، لأنّ المعلومات التي نظمت في شعر تعليمي كانت مشفَّرة داخل سياق منظم، واستدعاؤها يتم باستدعاء هذا السياق المثالي للحفظ من عدة وجوه منها:

1- **الإيقاع الشعري**، وهو ليس وزنًا وقافية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية (الزيدي، دون سنة، صفحة 66)، فالايقاع يخلق تتابعًا منتظمًا يتحول إلى مفتاح للاسترجاع. فكل شطر يستدعي الذي يليه وهذا يقلل العبء المعرفي ويمنع التشتت.

2- **القافية**: فهي إشارة تنبؤية، فالذهن واثق من تكرار القافية، لذلك يسترجع الكلمات التي من الممكن أن ترد في نهاية البيت على نفس التفعيلة.

3- **الوزن**: حتى وإن نُسيت القاعدة فإنَّ استحضار الوزن يعيد بناء السياق، فتسترجع المعلومة تدريجيًا، وهذا الذي أسماه علماء النفس بالاسترجاع المعتمد على السياق.

4- **البنية التراكمية للنص المنظوم**: فالمنظومة هي هيكل معرفي يبنى فيه كل جزء جديد مرتبطًا بما قبله، بدلًا من تخزينه منفردًا، وبهذا يصبح المحتوى قائم على التسلسل المنطقي التراكمي.

وهذا هو الوجه المشرق للذاكرة السياقية، فهي تُعين على الحفظ والاستذكار إن وضعت في سياق معين، ولكنها قد تكون وبالًا ونقمة إن تغير السياق المألوف عند الطالب، وذلك ما يُسمى بالتقديم والتأخير، وقد تكلمنا قليلًا عن التقديم والتأخير، والآن نفصّل القول فيه.

فالتقديم والتأخير: هو ظاهرة عنيَ بها النحويون والبلاغيون، فالتقديم عندهم نقل الشيء من مكانه إلى ما قبله لأغراض بلاغية، بيانية، والتأخير نقل الشيء من مكانه إلى ما بعده.

وقد قسّم الجرجاني التقديم على قسمين:

أولهما: تقديم على نية التأخير، بإبقاء الحكم للمقدم، كخبر المبتدأ إذا قُدّم على المبتدأ، والمفعول إذا قُدّم على الفاعل.

والثاني: تقديم لا على نية التأخير، كنقل الشيء من حكم إلى حكم، وجعله بابًا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرًا، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا **(الجرجاني، 1992، صفحة 384)**.

وما يعنينا في هذا البحث هو القسم الأول، لأنّ التقديم والتأخير بهذا المعنى هو الذي يؤدي إلى فشل الاسترجاع عند الطالب، هو الذي اعتاد على رتبة معينة للكلمات.

ومن الأسئلة التي أخفق الطلاب في إعرابها قوله تعالى: ((سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)) **(القرآن الكريم، سورة القدر: آية 5)**.

فـ (سلام): خبر مقدم، و(هي): ضمير منفصل مبني على محل في محل رفع مبتدأ مؤخر.

وقد جاءت نسبة إلى من أعرب (سلام) مبتدأ، و(هي) خبر حوالي 90% من مجموع الطلاب.

ومثله قوله تعالى: ((لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)) **(القرآن الكريم، سورة البقرة: آية 284)**. فـ (الله): اسم الجلالة مجرور باللام ومتعلقان بخبر محذوف مقدم، و(ما): اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر **(الدعاس، دون سنة، صفحة 121)**.

وأيضًا أخفق الطلاب في إعرابها بنفس النسبة السابقة ومثله قوله تعالى: ((يوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا)) **(القرآن الكريم، سورة الانعام: آية 158)**. فالفاعل (إيمانها): متأخر والمفعول مقدم وهو (نفسًا)، ومع أنّ المفعول منصوب وعلامته الإعرابية واضحة فقد أخفق الطلاب في إعرابه، فأعربوا (نفسًا): فاعلًا، و(إيمانها): مفعول به.

المطلب الثالث

طريقة علاج مشكلة ضعف الاسترجاع عند تغير الرتبة النحوية

يعاني التدريس من مازق عظيم، لأنّ السياق الذي اعتاد عليه الطالب منعه عن فهم مواضع التقديم والتأخير، فما هي الحلول المقترحة لمعالجة هذا الإخفاق؟

الحل يقتضي إعادة النظر في طريقة تدريس النحو، فالطالب يحتاج إلى نقل الإعراب من ذاكرة سياقية جامدة إلى ذاكرة علائقية مرنة وفق خطوات متسلسلة:

أولها: كسر السياق

وذلك بأن نأتي بكلمة ثابتة الحركة الإعرابية متغيرة السياق، والهدف هو التركيز على الوظيفة لا الموقع، نحو:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ)) **(القرآن الكريم، سورة آل عمران: آية 144)**.

((ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِّجَالِكُمْ وَلَّاكِن رَّسُولَ اللَّهِ)) **(القرآن الكريم، سورة الأحزاب: آية 40)**.

((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)) **(القرآن الكريم، سورة الفتح: آية 29)**.

ففي آية سورة ال عمران وردت كلمة (مُحَمَّدٌ) مرفوعة وموقعها الإعرابي مبتدأ مسبوق بـ (ما) النافية، وبعدها (إلا) أداة الحصر، ثم يأتي الخبر وهو (رسول).

وفي آية الاحزاب جاء نفس اللفظ وهو (مُحَمَّدٌ) مرفوع أيضًا، ولكنه هنا اسم لـ (كان).

وفي آية سورة الفتح جاء لفظ (مُحَمَّدٌ): مبتدأ و(رسول): خبره.

نلاحظ أن اسم (مُحَمَّدٌ) هو نفسه في الآيات الثلاث، لكن العلاقة النحوية تغيرت بتغير السياق، فالكلمة (مبتدأ) في الآية الأولى لا لأنّه اسم علم، أو لأنّه أتى في بداية الكلام، بل لأنّه محكوم بعلاقة الاسناد.

ولكن الإعراب الوظيفي لكلمة (مُحَمَّدٌ) تغير في الآية الثانية، لأنّه لم يعد مبتدأ فقد صار داخلًا في بنية فعلية ناقصة، فينبغي على الطالب هنا أن يكسر السياق ويسأل: لماذا (مُحَمَّدٌ) هنا اسم كان؟ والجواب: لأنّه الذي أسند إليه نفي الكون.

وفي الآية الثالثة جاء اللفظ مبتدأ بلا نفي ولا حصر، واللفظ (مبتدأ)، لأنّه إسناد اسمي خالص.

ثانيها: الإعراب العكسي

بدل أن نسأل السؤال التقليدي: أعرب الكلمة، نسأل: ما العامل؟ أو أين المعمول؟ ماذا لو تقدم؟ ماذا لو حُذف؟

هذا ينقل الطالب من الاستدعاء الآلي إلى التحليل، فلو كان يصح أن نقول في غير القرآن:

ما رسولٌ إلا محمدٌ

نكون بذلك قد غيرنا الموقع الإعرابي، وتبعًا لذلك أجرينا تغييرًا كبيرًا وفادحًا في المعنى، والمعنى الجديد الذي حصل بسبب تغير الموقع الإعرابي ينفي الرسالة عن بقية الرسل، ويثبتها لـ (محمد) (ﷺ) فقط، وهذا جرم فادح، لأنّ الله تعالى أخبرنا أنه أرسل العديد من الرسل.

قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ)) **(القرآن الكريم، سورة الرعد: آية 38)**.

ومثله قوله تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنا من قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ)) **(القرآن الكريم، سورة الروم: آية 47)**.

ثالثها: خرائط العلاقات النحوية

لا نطلب لا نطلب من الطالب إعراب جملة كاملة، بل نتدرج إلى مراحل:

1. نحدد العامل.
2. نحدد المعمول.
3. ما الرابط؟ هل هو: (إسناد، إضافة، تبعية)، وغيرها.

هذا ينقل الطالب إلى التفكير في الدلالة بدلًا من استدعاء السياق، ففي قوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ)) **(القرآن الكريم، سورة الانعام: آية 137)**.

العامل هو الفعل (زيَّن)، ولدينا معمولان الفاعل والمفعول به.

والرابط هو الاسناد.

رابعها: تبديل الرتبة

سواء كان هذا التبديل أصلي في سياق الكلام كما هو في الآية السابقة أو مقصودًا لغرض التدريب.

ففي الآية تقدم المفعول (قتل أولادهم) على الفاعل (شركاؤهم)، والسبب في تقديمه الاهتمام والعناية، وقد ذكر الرازي أن المفعول موضع تعجب لإقدام الآباء على قتل أولادهم **(الرازي، 2000، صفحة 159)**.

ويمكن أن يكون التبديل أيضًا بالحذف (حذف الفاعل أو حذف المبتدأ أو نحوهما)، وهنا يعلم الطالب أن الثبات هو الإعراب الوظيفي والتغيير هو الإعراب المعتمد على الدلالة.

خامسها: بيان معاني ما نعرب، وكيف يتغير المعنى مع تغير المعنى، وهذا ما يُعرف بمعاني النحو.

بعد أن عرفنا معنى الذاكرة السياقية، وسبب ضعف الاسترجاع المعرفي في الإعراب النحوي، يتبين لنا أن المشكلة تكمن في اعتماد الطالب على قواعد ثابتة تربط الإعراب بالشكل لا بالوظيفة، فالحل يكمن في كسر السياق، وتنشيط الذاكرة العلاقية، وذلك يحقق استرجاعًا أفضل وأكثر ثباتًا.

الخاتمة

البحث محاولة لـ:

1- الانتفاع من علم النفس ونظرياته لعلاج مشاكل في تعليم اللغة العربية.

2- اقتراح مناهج جديدة لتدريس قواعد اللغة العربية تقوم على أسس علمية؛ لأنّ الفجوة تزداد اتساعًا بين مناهج التعليم القديمة وبين الطالب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر العربية

ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس .(1999). علل النحو (الطبعة الأولى). الرياض، السعودية: مكتبة الرشد.

الانصاري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله. (2003). الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، (الطبعة الأولى). المكتبة العصرية.

بشر، كمال .(1969). دراسات في علم اللغة. دار غريب.

بن المقفع، عبد الله. (دون سنة). الأدب الصغير والأدب الكبير. بيروت: دار صادر.

بن جني، أبو الفتح عثمان. (دون سنة). الخصائص. الرياض، السعودية.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد .(1992). دلائل الاعجاز (الطبعة الثالثة). القاهرة: مطبعة المدني.

الحازمي، خالد بن حامد. (2004). الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية. 35(121).

الدعاس، احمد عبيد. (دون سنة). إعراب القرآن الكريم (الطبعة الأولى). دمشق: دار المنير.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. (2000). مفاتيح الغيب (الطبعة الثالثة). بيروت: دار احياء التراث العربي.

الزيدي، توفيق. (دون سنة). أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه. تونس: الدار العربية للكتاب.

السكاكي، يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي. (1987). مفتاح العلوم (الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد. (1992). نتائج الفكر في النحو (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر، تمام حسان. (2006). اللغة العربية معناها ومبناها (الطبعة الخامسة). عالم الكتب.

فروخ، عمر. (1983). تاريخ الأدب العربي (الإصدار الطبعة الأولى). دار العلم للملايين.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

Gruneberg, M., & Morris, P. (1994). Theoretical Aspects of Memory. London: Routledge.